

✽ علماء الجزائر وامتداداتهم المعرفية في إفريقيا

أحمد بن نصر الداودي المسيلي نموذجا

Algerian scholars and their knowledge extensions in Africa

Ahmed bin Nasr Al-Daoudi Al-Mesili is a model

✽ رقية رغاز*

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية بخروبة (الجزائر)

r.regaz@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2023/01/11 تاريخ القبول: 2023/05/15 تاريخ النشر: 2023/07/30

ملخص:

إن علماء الجزائر من أمثال الشيخ أحمد بن نصر الداودي المسيلي (402هـ) كانت لهم إسهامات جليلة في المعرفة الإسلامية، اتسمت بالأصالة والإبداع، وصار إنتاجهم العلمي مرجعا للمعرفة في بابيه. لكن هذا الزخم المعرفي ظل خفيا إلى أن صار مجهولا عند الأجيال الحديثة. وتكمن أهمية العمل في تناوله مؤلفين بالغى الأهمية: النصيحة في شرح البخاري، الأموال.

سأحاول في دراستي تسليط الضوء على جهود الشيخ وإمارة اللثام عن تأثيره العلمي والمعرفي من خلال الإجابة عن التساؤل الآتي: ما هي جوانب التميز في الإنتاج العلمي لأحمد بن نصر الداودي ومستويات تأثيرها في تاريخ المعرفة الإسلامية في قارة إفريقيا؟

وذلك بهدف فتح الباب أمام الباحثين لإنجاز المذكرات والأطروحات من صلب التراث الوطني، وجاء عملي وفق المنهج الوصفي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: الداودي، الفقه المالكي، الحديث، الصحيح الجامع، البخاري.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Algerian scholars such as Al-Daoudi Al-Mesili had great contributions to Islamic knowledge, which were characterized by originality and creativity. The importance of the work lies in the fact that it deals with two very important books: Al-Nnasia fi Sharh Al-Bukhari and Al-Amwal.

In my study, I will try to shed light on the efforts of the Sheikh and unveil his scientific and cognitive influence by answering the following question: What distinguished the scientific production of Al-Daoudi and what are the levels of his influence in the history of Islamic knowledge in Africa?

Keywords: Al-Daoudi; Maliki jurisprudence ; Hadith, Sahih Al-Jami', Al-Bukhari.

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن والاه
واتبع سبيله واهتدى بهداه؛ أما بعد:

جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق مصالح العباد الدينية والدنيوية، فهي تسير الواقع المعاش للناس رفعا للحرَج والمشقة. ويتمثل دور علماء الأمة في تشخيص الوقائع وإيجاد الحلول من الكتاب والسنة، وقد كان لعلماء الجزائر عظيم الأثر في نشر العلوم الإسلامية ومن بينهم العلامة المالكي أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الذي عاين ظلم حكام الدولة العبيدية خاصة من الناحية الاقتصادية، ما حَزَّ في نفسه ليعالج المجتمع ويحارب الفساد بالعودة إلى الشريعة التي ضمَّنها مؤلفاته.

ولما كانت السنة النبوية بيان القرآن الكريم انبرى العلماء لحفظها من الزيادة والتبديل والكذب، وأبرز الكتب التي صنفت خدمة لهذا الهدف "الجامع الصحيح" الذي حوت أبوابه وتراجمه من الفقه ما يشهد للإمام البخاري بالمكانة المرموقة، لذلك جدَّ العلماء في خدمته وكان إمامنا الداودي السباق إلى هذا الفضل في المغرب الإسلامي في كتابه (النصيحة في شرح البخاري) الذي مزج فيه علوم السند والمتن فصار مرجع الشراح من بعده.

ولئن كانت جهوده التأليفية ضاعَت إلا أن العلماء حافظوا على نصوص كثيرة ضمنوها مؤلفاتهم في الفقه والحديث والتفسير وغيرها من الفنون.

الإشكالية:

موضوع الدراسة دقيق ويسير تكمن مشكلته في ما نجعله من سيرة هذا العالم الفذ ونحاول الكشف عنه من خلال الإجابة عن السؤال الرئيسي:

- ما هي جوانب التميز في الإنتاج العلمي لأحمد بن نصر الداودي ومستويات تأثيرها في تاريخ المعرفة الإسلامية في قارة إفريقيا؟

ولتسنى لنا الإجابة عن هذه الإشكالية نمر أولاً بالإجابة عن بعض الفرضيات التي ستكون لاحقاً نتائج دراسية:

- من هو هذا العَلم الفذ وفي أي علم برز؟
- من هم أبرز تلاميذه والناقلين عنه؟
- ما هي جهوده الحديثية والفقهية؟
- ما هي سمات منهجه في شرح صحيح الموطأ وتأليف كتاب الأموال؟
- هل كان مقلداً تابعاً لغيره، أم مستقلاً صاحب رأي ومحدد؟

المنهج:

سأحاول السير في دراسية على المنهج الوصفي عند تناول ترجمة الإمام وإنجازاته العلمية الحديثية والفقهية، وأدعمه بالمنهج التحليلي.

1. الحياة الشخصية والعلمية للإمام الداودي:

1.1. نشأته:

إن الباحث في شخصية الإمام يصطدم بشحة التراجم في عرض تفاصيل حياته مما لا يشفي غليله إلا بتلك الإشارات التي يُفهم منها أنه: العلامة الفقيه الجزائري أبو جعفر، أحمد بن نصر الدَّاؤدي¹ الأسدي المسيلي الطرابلسي التلمساني، من أئمة المالكية بالمغرب²، وأصله من المسيلة التي كانت تسمى قديماً "المحمدية" نسبة إلى من بناها، وهو أبو القاسم محمد بن عبد الله الفاطمي (العبيدي). وإليها نسبته ابن خير الإشبيلي (575هـ) في فهرسته³، وكذلك القاضي عياض مع ما بدا عليه من تردد في نصه عندما عرفه قائلاً: «... أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة»⁴.

نشأ كبقية أترابه وسط عائلة متدينة متوسطة من أصول عربية، هاجرت من الجزيرة العربية لتستقر في إفريقية تونس والمغرب العربي⁵. حفظ القرآن الكريم وأخذ نصيباً من السنة النبوية، واهتم باللغة وعلومها، ودرس بعض كتب الفقه ليتوسع في دراسة المذهب المالكي وعلوم الحديث، كان له حظ في علم الكلام والتصوف والنظر⁶ ونبع فيها⁷.

¹ يكتب الدَّاؤدي بواو واحدة، ولكن ينطق بواوين مثل اسم "داود" وفي بعض المصادر أثبتت الواوان.

² ينظر، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، د/ط، بيروت، منشورات دار ومكتبة الحياة، د/ت، 633/3.

³ ينظر، الفهرست: محمد بن خير الإشبيلي، تح: محمد فؤاد منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، (1984) ص: 76.

⁴ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، تح: ابن تاوالتنجي وآخرون، المغرب، مطبعة فضالة، ط.1، (1965)، 102/7.

⁵ ينظر، واجبات ولي الأمر عند الإمام الداودي من خلال كتابه الأموال "دراسة نظرية تطبيقية": عبد الباسط باعلي، محمد بوزكاب، مجلة أبحاث، ع: 1 (2022) مج: 7، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، ص: 20.

⁶ ينظر، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، رجال المالكية، من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: قاسم علي سعيد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء العلوم، ط.1، (2002)، ص: 291-292.

⁷ ينظر، الداودي التلمساني المالكي وكتابه "الأموال" مساهمة في التنظير للمالية العامة وإصلاحها: حياة عبيد، مجلة البحوث والدراسات، ع: 11، (2011)، معهد الآداب واللغات. المركز الجامعي بالوادي، ص: 60.

وبداية طلبه العلم كانت في طرابلس الغرب⁸، فصار واحدا من أبرز أئمة المالكية بالمغرب المتسعين في العلم وكان مجيدا في التأليف.

أقام عمرا في طرابلس طالبا للعلم ثم شيخا، قال ابن فرحون: «وبها أصل كتابه في شرح الموطأ»⁹. ثم انتقل إلى مدينة تلمسان غرب الجزائر، وألف بها معظم كتبه¹⁰، وحظي باعتبار سلطان المدينة وكان قدوة لتلاميذه وأغلبهم من الأندلسيين، ولم يغادرها إلى غيرها إلى أن وافاه الأجل فيها. ولعله فضل تلمسان على القيروان والمسيلة؛ لأنهما كانتا مسرحا لكثير من الصراعات، وكلاهما تحت سلطة المواليين للعبديين، على عكس تلمسان التي سلمت من قيود سلطتهم آمنة مستقرة؛ فاختارها الداودي موطنًا له.

عاش الشيخ حياته في الدفاع عن العقيدة وسخر قلمه لذلك، وكان متمسكا بالسنة النبوية والمذهب الأشعري، متورعا عن طرق أبواب الحكام فكانت الحججة والبرهان سبيله للجهاد¹¹. وكان مالكيًا مجتهدًا غير متعصب لإمامه مالك فقد خالفه في بعض اجتهاداته.

2.1.2 شيخه:

عُرف الإمام أحمد بن نصر الداودي بفصاحة لسانه وحظه من الجدل وطول باعه في الحديث والنظر. وإنكاره على علماء القيروان سكانهم في مملكة بني عبيد، وأنحى باللائمة عليهم لبقائهم تحت سلطتهم، حتى إنه حكم بكفر من يقف معهم¹²، ولم يرخص في التعامل معهم إلا الضرورة المؤقتة. ما أغضب علماء المغرب عليه وكان رد القيروانيين منهم شديدا فقالوا: «اسكت لا شيخ لك» وبرروا موقفهم بحاجة عامة المسلمين إلى بقائهم هناك

⁸ ينظر، الأموال: أحمد بن نصر الداودي، تح: رضا محمد سالم شحادة، د/ط، الرباط، مركز إحياء التراث المغربي، د/ت، ص: 5

⁹ مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس والعشرين: الحسين بن محمد شواط، تح: أبو الحسن نوري حسن حامد المسلاقي، بيروت، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط. 1، (1411هـ)، 795/2.

¹⁰ ينظر، موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي، المسيلي، التلمساني، المالكي، في اللغة والحديث والتفسير والفقه:

عبد العزيز الصغير دخان، طبعة خاصة، وزارة الثقافة (الجزائر)، دار المعرفة الدولية، 50/1

¹¹ ينظر، الأموال: أحمد بن نصر الداودي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط. 1، (2008)، ص: 30-31

¹² ينظر، القاضي عياض بن موسى بن عياض البحصي السبتي، المرجع السابق، 274/7

تثبيتاً لهم على الإسلام وحفاظاً على الإيمان، وإن خرجوا لشرِّق¹³ من بقي في القيروان، فاختاروا خير الشرين¹⁴.

ومن هنا وُصف تحصيله العلمي بالعصامية كما بين القاضي عياض ذلك بقوله: «أي، لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه على إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه»¹⁵. ونسب محمد بن محمد مخلوف علمه إلى إدراكه وذكائه¹⁶، وقال ابن فرحون: «وكان درسه وحده»¹⁷.

لكن لا يصح أن نحكم على الإمام من هذه الأقوال على أنه لم يكن له شيوخ تتلمذ على أيديهم حقيقة كما توهم البعض، إنما يمكن أن نقول إنه لم يحظ بوفرة من الشيوخ والمعلمين المشهورين، أو لم تطل ملازمته لهؤلاء العلماء المغمورين بحيث لم تشتهر تلمذته على إمام منهم¹⁸. وقد توفرت بعض الأسماء في كتب التراجم أذكر منها اختصاراً:

- إبراهيم بن خلف: من الأندلس، روى عنه الداودي، وحديث هشام بن عبد الرحمن بالموطأ عن الداودي عن شيخه إبراهيم¹⁹.

¹³ وكان علماء المغرب يلقبون العبيدين بالمشاركة؛ لقدومهم من المشرق، ويقولون لمتابعهم في المذهب إنه تشرِّق. (ينظر، الكامل في

التاريخ: ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد، تح: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط.2، (1415هـ) 8/ 114)

¹⁴ ينظر، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المرجع السابق، 2/ 623

¹⁵ القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المرجع نفسه، 2/ 623

¹⁶ ينظر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، د/ط، القاهرة، المطبعة السلفية (1349هـ)، ص: 111

¹⁷ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: ابن فرحون المالكي، تح: محمد الأحدي أبو نور، د/ط، مصر، دار التراث

للطبوع والنشر، د/ت، 1/ 166

¹⁸ ينظر، أحمد بن نصر الداودي المسيلي (ت402هـ/ 1011م) حياته وآثاره: بو شقة رقية، داودي سلمى، مذكرة مقدمة لنيل

شهادة الماستر في التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، (2017/2018)، ص: 39

¹⁹ ينظر، التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار أبو عبد الله القضاعي، تح: عبد السلام الحراس، لبنان، دار الفكر للطباعة (1995)،

● إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق الزبيري (359هـ): المعروف بالقلانسي، فقيه فاضل، عالم بالكلام والرد على المخالفين فوضع كتابا يرد فيه على الرافضة²⁰، وله مؤلف في الإمامة.

● أبو الحسن بن علي بن محمد بن مسرور الدباغ (359هـ): كان ثقة مأمونا، متواضعا، من أهل العلم والورع والعبادة²¹.

● ربيع القطان بن عطا الله، أبو سليمان القرشي (333هـ)²²: الإمام الفقيه الجامع بين العلم والعمل، كان لسان إفريقية في وقته في الزهد والرفائق والأدب والشعر، تفقه عنده الداودي ولازمه، ومات في جهاد بني عبيد²³.

● عبد الله بن إسحاق، أبو محمد (351هـ): المعروف بابن التبان، كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين والعارفين بمذهب مالك، عالما بالفقه والنحو والحساب وغير ذلك. وقع بينه وبين علماء القيروان نزاع في مسألة الإيمان. وصرح الداودي بالسماع عنه حين سألته: «كيف نقطع على غيبة؟» فرد: «فإن كانت سريره مثل علانيته كان كذلك»²⁴.

● محمد بن سليمان النعالي²⁵، أبو بكر (380هـ): قال البرزلي: «نقل المازري عن الداودي في (النصيحة) عن النعالي: يسقط فرض الحج عمن أراده، وإن لم يحرم»²⁶ وهذا يوحى بأنه سمع من النعالي.

²⁰ ينظر، الإمام أبو جعفر الداودي ومنهجه في كتاب (الأموال): عبد العزيز دخان، مجلة المعيار، ع: 53، مج: 25 (2021)،

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ص: 420

²¹ ينظر، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المرجع السابق، 258/6

²² ينظر، محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 83

²³ ينظر، سمات منهجية في شرح الداودي على صحيح البخاري: خريف زتون، مجلة البحوث العلمية والدراسات الأكاديمية

(2007)، كلية العلوم الإسلامية خروبة، جامعة الجزائر، 5/1

²⁴ القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المرجع السابق، 255/6

²⁵ النعالي نسبة إلى عمل النعال. (ينظر، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، المرجع نفسه، 481/2

²⁶ فتاوى البرزلي = جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام: أبو القاسم بن أحمد البرزلي، تح محمد الحبيب

الهيئة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط.1، (2002)، 592/1

وجمع الإمام أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشيلي في فهرسته جميع روايات الداودي عن شيوخه، وذكر أسانيدته التي تصله بالداودي²⁷. ومما نلاحظه أن الإمام تأثر بشيوخه في شدة موقفه من بني عبيد والموالين لهم.

وإذا فرضنا صحة ادعاء علماء القيروان وما فهمه القاضي عياض سنقف عاجزين عن تبرير رحلة الشيخ إلى المشرق مثل بقية معاصريه الطالبين للعلم. وليس مقنعا أن ينبغ أحد في كل هذه الفنون ويذيع صيته في الآفاق ويوثق بعلمه فينتشر ويُعرف بين العلماء وسجله خالٍ من المشايخ الذين أخذ عنهم²⁸.

3.1 تلاميذته:

والمتتبع لتراث الإمام الداودي يجزم أن إمامنا حظي بمكانة علمية مرموقة في عصره لاشتهاره بالاستناد إلى الكتاب والسنة ومناصرة أهل السنة والجماعة في الأصول والمالكية في الفروع. فشد طلاب العلم رحالهم إليه طلبا للتعلم عليه والاستماع إليه والإجازة منه وحمل مصنفاته القيمة، وتمثل لبعض هؤلاء الأجلاء المبرزين بـ:

- أحمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني، أبو بكر: الفقيه الإمام، قاضي القيروان ومن أشهر فقهاءها، عارف بالأحكام والنوازل، روى التهذيب عن مؤلف البرادعي الذي كان يثني عليه كثيرا²⁹. درس رفقة أخيه عمر على الداودي³⁰، قال القاضي عياض في ترجمته: «... وكُتِبَ أحمد بن نصر الداودي عنهما» أي إن ابني الشيخ ابن أبي زيد صاحب الرسالة روى عن الداودي كتبه، ومن هذا القول نستنتج أن عمر درس عنده كذلك. وتوفي أبو بكر بعد سنة (450هـ)³¹.

²⁷ ينظر، محمد بن خير الإشيلي، المرجع السابق، ص: 391

²⁸ ينظر، فقه الواقع عند الإمام الداودي طائفة التسول نموذجاً: عبد الجبار اليمان، مصطفى ويتن، مجلة الشهاب، ع1،

(2018) مج: 4، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ص: 152

²⁹ ينظر، محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 116

³⁰ ينظر، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصي السبتي، المرجع السابق، 623/3

³¹ ينظر، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصي السبتي، المرجع نفسه، 716/3

- أحمد بن محمد بن مّلاس، أبو القاسم، الفزاري، الإشبيلي (435هـ)³²: كان متفنناً في العلم بصيراً بالوثائق، فاضلاً، مقدماً على الخير.³³
- أحمد بن محمد بن يحيى القرشي، الأموي: الزاهد المعروف بابن الصّقلي، سكن القيروان، كان منقطعاً في الصّلاح والفضل، قدّم العناية بطلب العلم في الأندلس.³⁴
- أصبغ بن الفرج بن فارس الطائي، أبو القاسم القرطبي (400هـ): وصفه ابن بشكوال بأنه فقيه جليل في الدولة العامرية³⁵، كان يقظاً نبيهياً، حافظاً للفقه ورأي الإمام مالك. رحل حاجاً وطالبا للعلم، وكان أكرم الناس عناية وأعلامهم همّة. استقضى ببطليوس فأحسن السيرة، وخطبهم ووعظهم فأحبوه. دفن في مقبرة ابن عباس وصلى عليه ابن ذكوان.³⁶
- حيون بن خطاب بن محمد، أبو الوليد الأندلسي: من أهل تطيلة. له كتاب جمع فيه رجاله الذين لقيهم نحو الداودي والقاسبي والبرادعي.³⁷
- عبد الرحمن بن سعيد بن خزرج، أبو الطرف الإلبيري، القرطبي (439هـ)³⁸: ولي الشورى بقرطبة، فقد كان من أهل الخير، راجح العقل حافظاً للمسائل، له حظ من علم النحو، كما حفظ ملخص القاسبي، عاملاً بعلمه. كما عرف بحسن الخلق وكثرة صلاته وأذكاره. دفن بمقبرة الريض وصلى عليه بباب الجامع.³⁹

³² ينظر، ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، المرجع نفسه، 86/1

³³ ينظر، بو شنقة رقية، داودي سلمى، المرجع السابق، ص: 44

³⁴ ينظر: ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، المرجع السابق، 143/2

³⁵ ينظر، الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (دراسة تحليلية لكتاب الأموال): محمد ذياب، مذكرة مقدمة

لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة الحاج لخضر، باتنة (2007)، ص: 21

³⁶ ينظر، ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، المرجع السابق، 179 /2

³⁷ المرجع نفسه، 492-91/2

³⁸ المرجع نفسه، 91/1

³⁹ المرجع نفسه، 492-491/2

● عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس، أبو المطرف (402هـ): قاضي الجماعة بقرطبة، كتب إليه كثير من علماء المشرق والقيروان. واحد من جهابذة الحديث، وكبار العلماء والمسندين، حافظ للحديث وعلمه، وله عناية كبيرة بجمع وتقييد السنن والأحاديث المشهورة والحكايات المسندة، وكان حسن الخط، وجيد الضبط مع سعة الرواية والحفظ والدراية⁴⁰.

● عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر، أبو الوليد: المعروف بابن الفرضي القرطبي، الإمام الحافظ البارع الثقة، فقيه، متفنن، عالم بالحديث وعلم الرجال، صاحب تاريخ الأندلس ومؤلفات كثيرة على غرار: أخبار شعراء الأندلس، المؤلف والمختلف، مشتببه النسبة. قال فيه أبو عمر ابن عبد البر: «كان صاحبي، ونظيري، أخذت معه عن أكثر شيوخه، وأدرك من الشيوخ ما لم أدركه أنا، وكان بيني وبينه في السن نحو من خمس عشرة سنة، صحبته قديما وحديثا، وكان حسن الصحبة والمعاشرة، حسن اللقاء...»⁴¹ رحل إلى المشرق سنة 382هـ حاجا وطالبا للعلم، قتله البربر سنة 403هـ⁴² وبقي مقتولا في بيته ثلاثة أيام⁴³.

● مروان بن علي، أبو عبد الملك البوني: نسبة إلى بونة (عنابة) شرق الجزائر، من علماء الأندلس المتفنيين. له مختصر في شرح الموطأ رواه الناس عنه. كان رجلا فاضلا حافظا، نافذا في الفقه والحديث، وكان صالحا عفيفا عاقلا، حسن اللسان⁴⁴. سمع كبار العلماء ثم لازم الداودي خمس سنوات وأخذ عنه معظم تأليفه⁴⁵، وإليه يرجع الفضل في حفظها وروايتها. توفي قبل (440هـ).

⁴⁰ ينظر، ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، المرجع السابق، 180/2

⁴¹ بو شنقة رقية، داودي سلمى، المرجع السابق، ص: 42-43

⁴² ينظر، ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، المرجع السابق، 81/1

⁴³ المرجع نفسه، 392/1

⁴⁴ ينظر، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصي السبتي، المرجع السابق، 710/3

⁴⁵ ينظر، تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمن الجيلالي، ط: 7، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية (1994)، 274-273/1

● هشام بن عبد الرحمن أبو الوليد (324هـ): المعروف بابن الصابوني القرطبي، كان «خيراً فضلاً عفيفاً، مخزون اللسان، جيد المعرفة، حسن الشروع في الفقه والحديث، دؤوباً على النسخ، جيد الخط، له كتاب في تفسير البخاري على حروف المعجم، كثير الفائدة»⁴⁶.

● يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، أبو عمر النمري القرطبي (463هـ): الفقيه الحافظ النظار، شيخ علماء الأندلس. أجاز له الداودي في جميع رواياته ومؤلفاته⁴⁷ فقال: «كتب إليّ أحمد بن نصر الداودي بإجازة ما رواه وألفه»⁴⁸، وهذا يدل على أنه لم يدرس على يديه مباشرة وإنما تتلمذ بالمكتبة المقرونة بالإجازة. ألف في الموطأ كتباً مفيدة، توفي بشاطبة⁴⁹.

هذه جملة من تلاميذ الداودي الذين كشفت لنا الكتب المتوفرة، سواء في ترجمتهم أو في ترجمة الداودي، فمنهم من أخذ منه العلم قراءة أو إجازة أو كتب إليهم، وقد ذكروهم على استحياء تقيدا بحجم العمل، ولعل بطون المخطوطات تخفي آخرين نظراً لعظيم مكانته وسعة شهرته في عصره، ونلاحظ أنه فتح لهم الباب لشرح ودراسة الكتب العلمية القديمة خاصة صحيح البخاري وموطأ مالك.

4.1 مؤلفاته:

خلف الداودي مصنفات في علوم مختلفة وهي ذات قيمة علمية عظيمة، ولكنه برز وأبدع في الفقه والحديث والنظام المالي والاقتصاد مما كان يدخل في الفقه سابقاً، ومنها ما كان في أصول الفقه والعقيدة، وذكر له تسعة مؤلفات هي:

⁴⁶ بو شنقة رقية، داودي سلمى، المرجع السابق، ص: 42

⁴⁷ ينظر، مقدمة تحقيق كتاب الأموال للداودي: محمد أحمد سراج، علي جمعة محمد، مصر، دار السلام للطباعة والنشر، ط. 2،

(2006)، ص: 43

⁴⁸ محمد بن خير الإشبيلي، تح: محمد فؤاد منصور، المرجع السابق، ص: 392

⁴⁹ ينظر، محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص: 172

- 1- الواعي في الفقه: مفقود ولكن يغلب الظن أنه في الفقه المالكي.
- 2- النامي في شرح الموطأ: ألفه في طرابلس وأملاه على تلاميذه هناك قبل رحيله إلى تلمسان واستقراره بها. اعتمده شراح الموطأ خاصة الزرقاني لكثرة نقولاته منه⁵⁰، وما زال مخطوطا.
- 3- النصيحة في شرح البخاري: مفقود، شرح فيه صحيح البخاري كاملا ويُعد بذلك أول شرح مغربي للجامع الصحيح⁵¹، وقد اعتمد عليه ابن حجر كثيرا، ويصنف ثاني شرح للبخاري بعد شرح الخطابي⁵².
- 4- الأموال: من أوائل ما أُلّف في المالية والاقتصاد. يبرز الموارد المالية لبيت مال المسلمين وحكم أرض الخراج، ويوضح مدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، خدمة لمصالح الطبقات الضعيفة من المزارعين⁵³.
- 5- الإيضاح في الرد على البكرية: مفقود، جاء ردا على الطائفة البكرية التي يمثلها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري مدعي رؤية الله تعالى يقظة. صنف الكتاب أول كتاب في الأدب الصوفي بالمغرب الوسيط، تبنى فيه الداودي موقف ابن أبي زيد القيرواني في التشدد على التصوف إلى الشعوذة، واقتفى أثره في الجدل حول إثبات كرامات أولياء الله الصالحين⁵⁴؛ فهو لم ينكر هذه الكرامات جملة واحدة لكن كان له تفصيل.
- 6- البيان: مفقود ويُعتقد أنه في أصول الفقه.
- 7- الأجوبة: كتاب في الفقه لا يزال مخطوطا.
- 8- الأصول: مفقود، ويغلب الظن أنه في أصول المذهب المالكي⁵⁵.

⁵⁰ ينظر، حياة عبيد، المرجع السابق، ص: 62

⁵¹ ينظر، أضواء على جوانب من حياة ليبيا العلمية : حمزة أبو فارس، وقع ليبيا جيل، 2008/11/19

⁵² ينظر، عبد العزيز دخان، المرجع السابق، ص: 425

⁵³ ينظر، عبد الباسط باعلي، محمد بوركاب، المرجع السابق، ص: 22

⁵⁴ ينظر، نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط: الطاهر بونابي، مجلة حوليات التراث، ع: 2، مستغانم (2004)،

ص: 12

⁵⁵ ينظر، محمد أحمد سراج، علي جمعة محمد، 45

9- تفسير القرآن: ممن نقل منه عبد الرحمن الثعالبي صاحب الجواهر الحسان وقد أكثر من العزو إليه⁵⁶، وصرح بذلك قائلاً: «ومهما ذكرث الداودي في هذا المختصر، فإنما أريد أحمد بن نصر المالكي، ومن تفسيره أنا أنقل»⁵⁷.

الملاحظ أن كتب أحمد بن نصر الداودي لم يصل إلينا منها إلا ما نذر، ولعل السبب في ذلك راجع إلى الأحداث السياسية السائدة في ذلك العصر، خاصة سعي الخليفة الموحد عبد المؤمن بن علي إلى صرف الفقهاء عن المدونة وأصول كتب المالكية، وأمره بحرق كتب الفروع بعد تجريدتها من الأحاديث النبوية، كمدونة سحنون، ونوادر أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبرادعي.

وأخبر المراكشي أنه شهد موقفاً من عملية إتلاف الكتب فقال: «لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار». فلعل كتب الإمام الداودي كانت بين تلك الأحمال ولقيت المصير نفسه.

1-5 ثناء العلماء عليه:

كتب التراجم حافلة بالثناء على الإمام الداودي، تصدرت لإبراز مكانته العلمية العالية واختصاصاته المتنوعة، فوصفوه بأوصاف جليلة وتوّهت النصوص إلى سبقه إلى شرح كتب القدامى.

عدّه القاضي عياض من أئمة المالكية بالمغرب المتسعين في العلم، المجيدين للتأليف⁵⁸.

⁵⁶ ينظر، عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، 1/ 273-274

⁵⁷ الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تح: علي محمد عوض، القاهرة، دار التراث تونس المكتبة

العتيقة، ط. 1، (1997)، 69/1

⁵⁸ ينظر، القاضي عياض بن موسى بن عياض البحصي السبتي، المرجع السابق، 3/ 623

وقال ابن فرحون صاحب الديباج: «... كان فقيها فاضلا مؤلفا مجيدا، له حظ من اللسان...»⁵⁹. ووصفه الإمام الذهبي والحجوي الثعالبي بالفقيه⁶⁰. وقد نقل المقرئ عن ابن عرفة يمدح مدينة تلمسان، فعّد من مفاضلها أن الداودي دُفن بأرضها، فقال في رجز في علم الحديث⁶¹:

وَمَنْ بِهَا أَهْل ذُكَاءٍ وَفِطْنٍ فِي رَابِعٍ مِنَ الْأَقَالِيمِ قَطْنٍ
يَكْفِيكَ أَنَّ الدَّائِدِي بِهَا دَفِنَ مَعَ ضَجِيعِهِ ابْنُ عَزْلُونِ⁶² الْفَطْنِ

وأثنى عليه الخزاعي التلمساني بعدّه من الثقات الأثبات إلى جانب عبيد القاسم بن سلام، وأبي عمر ابن عبد البر وغيرهما⁶³.

كما عرف بصلاح أخلاقه واشتهر بالتقوى والورع والزهد، وكان محل تقدير في شخصه الكريم⁶⁴، كان بعيدا عن النفاق والتملق يسعى إلى الحق وصاحب كلمة صريحة وجريئة. حظي بلقب شيخ الإسلام وإمام العلماء، ولقب بصدر الشريعة، وهو أول من بلغ درجة الاجتهاد من الجزائريين⁶⁵.

حقيق أن يشاد بمقام الإمام الداودي وفضله وعلو منزلته فقد استفاد العالم الإسلامي من اجتهاداته وآرائه في مؤلفاته حيث كان عالما موسوعيا.

⁵⁹ ابن فرحون المالكي، المرجع السابق، ج 141/1-142

⁶⁰ ينظر، سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط. 9، (1413هـ)، 8/87، وينظر، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي

الحجوي الثعالبي، 3/126، نقلا عن مقدمة تحقيق كتاب الأموال للداودي، المرجع السابق، ص: 44

⁶¹ ينظر، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد التلمساني المقرئ، تح: إحسان عباس، دط، بيروت، دار صادر (1388هـ)، 5/433

⁶² أحمد بن علي بن غزلون أبو جعفر الأموي الأندلسي، روى عن أبي الوليد الباجي، وكان من أهل الحفظ والمعرفة والذكاء، أخذ عنه الناس صحيح البخاري (ينظر، الذهبي، المرجع السابق، 15/21)

⁶³ ينظر، تخريج الدلالات السمعية: الخزاعي، تح: إحسان عباس، بيروت، دار العربي الإسلامي، ط. 1، (1985)، ص: 621-622

⁶⁴ ينظر، بو شنقة رقية، داودي سلمى، المرجع السابق، ص: 67

⁶⁵ ينظر، حياة عبيد، المرجع السابق، ص: 64

1-6 وفاته:

وبعد السنوات الحافلة بالعطاء العلمي تدريسا وتصنيفا، وتخريج التلاميذ، والدفاع عن العقيدة، توفي أحمد بن نصر الداودي سنة (402 هـ) في تلمسان ودفن بشرقي باب العتبة، وكان معدودا من أوليائها الصالحين المشهورين حتى صارت تمتدح لدفنه بها⁶⁶، رحمه الله.

2. جهوده الحديثة:

يصنف أحمد بن نصر الداودي من أوائل شراح صحيح البخاري من حيث شرح ألفاظه ومعانيه، وكان منطلق الشراح من بعده يستشهدون باستنباطاته للأحكام الشرعية، نحو ما نقله ابن حجر من حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من أخذ أموال الناس يريد أداها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله)، قال الداودي: «فيه أن من عليه دين لا يعتق ولا يتصدق، وإن فعل رد»⁶⁷.

2-1 الدراسة الإسنادية في شرح صحيح البخاري:

عُرف الإمام بأنه صاحب باع طويل في علم الرجال وعلم الإسناد، وقد اهتم بضبط الأسماء المبهمة سواء وردت في سند الحديث أو متنه، ومن أمثلة ذلك: اسم أم أسماء بنت أبي بكر؛ قتيلة بنت عبد العزى بن سعد من مالك بن حنبل الوارد في باب الهدية للمشركين، ذكر ابن حجر ضبط الداودي لاسمها وتوجيهه، فقال: «... وأما قول الداودي: إن اسمها أم بكر، فقد قال ابن التين: لعله كنيته»⁶⁸.

⁶⁶ ينظر، حياة عبيد، المرجع السابق، ص: 64

⁶⁷ فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تح: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة (1379هـ)، 54/5

⁶⁸ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، المرجع نفسه، 276-275/5

كما عمل على إطلاق الأحكام على الأحاديث والمرويات، مبدياً آراءه مؤكداً بذلك رسوخه في الصناعة الحديثية، كقوله: «الإسقاط فيه من البخاري، فوجوده في رواية شيخه وشيخ شيخه يدل على ذلك»⁶⁹ أو قوله: «وكان راوي هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله»⁷⁰ وقد علق مثلاً على حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه فيه أن أعرابياً حين سمع أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، قال للنبي ﷺ: «يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً، أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع»⁷¹. فعلق بأن «قوله: "قرشياً" وهم؛ لأنه لم يكن لأكثرهم زرع»⁷².

2-2 الدراسة المتتية في شرح صحيح البخاري:

كان البخاري شديد العناية بالتراجم ومبدعاً في إيرادها، حتى إنه يصلي لكل ترجمة ركعتين⁷³. وحذا العلماء حذوه للاستفادة مما تضمنته من فوائد علمية حديثية وفقهية، حتى قيل: «فقه البخاري في ترجمته»⁷⁴. وكانت مهمة الداودي بيان علاقة الترجمة بأحاديث الباب ومدى مطابقتها لها، وتنوعت آراؤه في ذلك فكثيراً ما نجده يوافق البخاري كتأييده لما بوب له الشيخ في كتاب الوصايا على حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما «أن أباه استشهد يوم أحد...»⁷⁵ بقوله: «باب قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة».

⁶⁹ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، المرجع نفسه، 15/1

⁷⁰ المرجع نفسه، 437/11

⁷¹ صحيح البخاري "الجامع الصحيح": البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة،

رقم: 826/2، 2221،

⁷² ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، المرجع السابق، 496/13

⁷³ ينظر، هدي الساري "مقدمة فتح الباري": ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، مصر، إدارة الطباعة المنيرية، ط.1، (1347هـ)

15/1

⁷⁴ هدي الساري، المرجع السابق، 13/1

⁷⁵ البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، المرجع السابق، رقم: 1023/3، 2629

فنافح الداودي عن هذه الترجمة بقوله: «لا خلاف بين العلماء في حكم هذه الترجمة أنه جائز»⁷⁶. وقد اكتفى ابن حجر في شرحه بإيراد رأيه دون تعليق عليه.

وأحيانا أخرى نراه يعترض على صياغة ترجمة البخاري، ويقترح صياغة أخرى يراها أنسب وأكثر تطابقا، فقد بوب البخاري حديث الأعرابي الذي ولدت له امرأته غلاما أسود فقال له الرسول ﷺ: (فلعل ابنك هذه نزع عرق)⁷⁷ لم يجد الداودي هذه الترجمة مطابقة لما تحتها فنقل ابن حجر اعتراضه: «تبويب البخاري غير معتدل، ولو قال: ما جاء في ذكر ما يقع في النفوس عندما يرى ما ينكره، لكان صوابا»⁷⁸.

ومن منهجه في شرحه ضبط لفظ متن الحديث وخصوصا الغريب، وبيان أثر ذلك في معناه، ومثال ذلك ضبطه ألفاظ حديث: (... ألم تر الجن وإبلاسها، ويأسها من بعد إنكاسها)⁷⁹ فنقل ابن حجر شرحه: «ووقع في شرح الداودي بتقديم السين على الكاف، وفسره بأنه المكان الذي ألفتة... والإنكاس الإقلاب»⁸⁰. ومن أمثلة عنايته بتفسير غريب الحديث ما جاء في كتاب الأشربة "باب شراب الحلواء والعسل"⁸¹ فسر الداودي الحلواء بأنها: «النقيع الحلو»⁸². وطريقته في الشرح بأنه يشرح الكلمة بما تستلزمه من معنى، لا بردها لأصولها اللغوية⁸³.

⁷⁶ ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، المرجع السابق، 484/5

⁷⁷ صحيح البخاري، المرجع السابق، رقم: 2455، 2511/6

⁷⁸ ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، 175/12

⁷⁹ صحيح البخاري، المرجع السابق، رقم: 3655، 1403/3

⁸⁰ ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، 219-15/7

⁸¹ صحيح البخاري، المرجع السابق، 2129/5

⁸² ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، 81/10

⁸³ ينظر، خريف زيتون، المرجع السابق، ص: 281

وكان للداودي باع في علم مختلف الحديث الذي قال فيه ابن الصلاح: «وإنما يكمل للقيام به الأئمة الجامعون بين صناعتي الحديث والفقه، الغواصون على المعاني الدقيقة»⁸⁴. فكان إمامنا يجمع بين الروايات ويوفق بينها إن أمكنه ذلك كما في حديث أنس رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام في قميص من حرير من حكة كانت بهما"⁸⁵، وقد رواه البخاري من طرق أخرى منها رواية همام عن قتادة جاء فيها أن: «عبد الرحمن بن عوف والزيبر شكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يعني القمل - فأرخص لهما الحرير»⁸⁶. وكما نرى فبين الروايتين تعارض ظاهر؛ لأن العلة في الرواية الأولى الحكمة، وفي الثانية القمل، فسلك الداودي مسلك الجمع باحتمال أن تكون إحدى العلتين بأحد الرجلين، أو أن تكون الحكمة حصلت من القمل، فنسبت العلة تارة إلى السبب وتارة إلى سبب السبب⁸⁷.

وإذا انتفى الجمع أعمل قاعدة النسخ ومن ذلك حديث عائشة في باب "ما وطئ من التصاوير" قالت: «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر، وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم هتكه، وقال: (أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله). قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين»⁸⁸. وساق البخاري في الباب الذي يليه حديث عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بالباب، فلم يدخل. فقلت: «أتوب إلى الله مما أذنبت». قال: (ما هذه النمرقة؟) قلت: «لتجلس عليها وتوسدها» قال: (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتكم، وإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة)⁸⁹.

⁸⁴ علوم الحديث: ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين، مكتبة الفرائي، ط. 1، (1984)، ص: 169

⁸⁵ صحيح البخاري، المرجع السابق، رقم: 2762، 1069/3

⁸⁶ المرجع نفسه، رقم: 2763، 1069/3

⁸⁷ ينظر، ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، 119/6

⁸⁸ صحيح البخاري، المرجع السابق، رقم: 5610، 2221/5

⁸⁹ المرجع نفسه، رقم: 5612، 2221/5

التعارض واضح بين الروايتين ففي الأولى استعمل السّتر الذي فيه الصورة بعد هتكه، وفي الثانية لم يستعمل أصلاً، قال ابن حجر: «وسلك الداودي في الجمع مسلماً آخر—هو النسخ—فادعى أن حديث الباب ناسخ لجميع الأحاديث الدالة على الرخصة، واحتج بأنه خير والخبر لا يدخله النسخ، فيكون هو النسخ»⁹⁰. وإذا لم يمكن النسخ اختار الترجيح.

2-3 استنباط فقه الحديث:

ثمرة علوم الحديث وبه قوام الشريعة⁹¹، ويعد الداودي من السابقين إلى هذا العلم بممارسته الاستنباط الفقهي من الأحاديث وفق منهجية خاصة يمكن تلخيصها فيما يأتي⁹²:

- التزامه بالحديث إذا صح سنده، ولو خالف مذهبه المالكي.
- ميله إلى الأخذ بظاهر الحديث.
- الاعتماد على آثار الصحابة والتابعين.

مثال ذلك ما رواه حكيم بن حزام أنه قال: «سألت النبي ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته ثم قال لي: (يا حكيم إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه. وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى)»⁹³.

قال الداودي: «ليست السفلى والعليا المعطاة والمعطية بغير مسألة، وإنما هي السائلة والمسئولة، وليست كل سائلة تكون خيراً من المسئولة، وإنما ذلك لمن سأل وأظهر من الفقر فوق ما به، وأما عند الضرورة أو ليكافي، فليس من ذلك وقد استطعم الخضر وموسى أهل القرية»⁹⁴.

⁹⁰ ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، 403/10-404

⁹¹ ينظر، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، تح: أحمد بن فارس السلو، لبنان، دار ابن حزم،

ط.1، (2003) ص: 246

⁹² ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، 137/3، 234/4، 462/9

⁹³ صحيح البخاري، المرجع السابق، رقم: 2750، 5/4

⁹⁴ طرح الترتيب: زين الدين أبو الفضل، د/ط، لبنان، إحياء التراث، د/ت، 76/4

واستطاع استنادا إلى هذا الحديث تقسيم أنواع المسألة⁹⁵ وعد هذا المثال من المسألة المكروهة وهي التي لا تحرم ذلك أن النبي ﷺ أعطى حكيما مرات؛ لأنه من المؤلفة قلوبهم، ولو كان حراما لما فعله ﷺ⁹⁶. ونلاحظ استدلاله بقصة موسى عليه السلام تقريبا للصورة وتقوية للحكم الذي استنبطه.

3. جهوده الفقهية:

1-3 نماذج من فتاواه:

○ نماذج من فتاواه في كتب المالكية:

- ❖ قوله في فتوى الإمام مالك في الدم القليل لو كثر يُغسل أنه «لم يرد بذلك اليسير جدا لأنه قد قال لا يغسل دم البراغيث إلا أن ينتشر فدل هذا على أن اليسير جدا ليس على المكلف غسله»⁹⁷.
- ❖ بيع الجائع وشراؤه غير جائز؛ لأنه يبيع ما يساوي مائة بالأقل جدا لأن عقله ليس معه⁹⁸.
- ❖ سئل عن أول الصحابة موتا فأجاب: «أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، طعنها أبو جهل في قبلها فماتت منه»⁹⁹.
- ❖ سئل عمن صاحب حدثا، يأخذ عليه الدراهم في الفساد، ثم أراد أحدهما التوبة، فقال: «يقال لمن أراد ذلك ما توليت قبضه فعليه غرمه ورده إلى من أعطاك، وما لم تتول قبضه، ولا انتفعت به فهو على من أخذه، وإن لم يعرف أربابه، ولا عرفوا أو أليس منهم، تصدق به عليهم»¹⁰⁰.

⁹⁵ ينظر، عبد الجبار اليمان، مصطفى ويتن، المرجع السابق، ص: 163

⁹⁶ ينظر، عبد الجبار اليمان، مصطفى ويتن، المرجع نفسه، ص: 165

⁹⁷ الحاكم النيسابوري، المرجع السابق، ص: 119

⁹⁸ الأموال، المرجع السابق، ص: 52

⁹⁹ المقنع في علوم الحديث: سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، تح: عبد الله بن يوسف الجديع، السعودية، دار فواز للنشر، ط. 1، (1413هـ)، 04/2

¹⁰⁰ سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، المرجع نفسه، 551/9

○ نماذج مخالفاته للإمام مالك:

لم يكن الشيخ أبو جعفر مقلدا، فكان يعرض أقوال المذهب وهو يدرسها على السنة المتمكن منها تدقيقا وتمحيصا واجتهادا، وكان ينافح عن إمامه عند مخالفته للحديث الصحيح، فيعتذر أحيانا بأن الحديث لم يبلغه، وعدّ ابن تيمية هذا العذر مما يرفع الملامة عن الأئمة، فإن الإحاطة بأحاديث النبي كلها لم تحصل لأحد من الأئمة، وبهذا يتفاضلون، وأحيانا يخالفه لأن الحديث لم يصح عنده؛ «لأن محدثه، أو محدث محدثه، أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده، أو متهم أو سيئ الحفظ. وإما لأنه لم يبلغه مسندا بل منقطعا، أو لم يضبط لفظ الحديث مع أن ذلك الحديث قد رواه الثقات لغيره بإسناد متصل»¹⁰¹ فبعد انتشار الأحاديث كانت تصل الأئمة من طريق ضعيفة وتصل غيرهم من طرق صحيحة، فتكون حجة من هذا الوجه، مع أنها لم تبلغ من خالفها من الوجه الآخر مما خالف فيه الداودي إمامه مسألة:

❖ كراء الأرض بما يخرج منها، وهذا لا يجوز عند المالكية¹⁰².

❖ كره مالك ستة أيام بعد يوم الفطر، وأجاز صوم يوم الجمعة منفردا، ورفض الداودي ذلك مبررا أن مالك لم يبلغه الحديث¹⁰³.

❖ خالف مالك الحديث الصحيح الذي يقتضي النهي عن تحنيط الميت وتغطية رأسه إذا مات محرما على أن يحنطه غير محرم¹⁰⁴؛ لأنه يرى أن الإحرام ينقطع بالموت، فيصنع بالميت ما يصنع بالحي، ولأنه خالف حديثا صحيحا خالفه الداودي بعذر أن الحديث لم يصله¹⁰⁵.

¹⁰¹ رفع الملام عن الأئمة الأعلام: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تقي الدين، د/ط، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات

البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د/ت، 18/1-19

¹⁰² ينظر، بو شنقة رقية، داودي سلمى، المرجع السابق، ص: 56

¹⁰³ ينظر، حياة عبيد، المرجع السابق، ص: 04

¹⁰⁴ ينظر، المدونة: مالك بن أنس، لبنان، دار الكتب العلمية، ط.1، (1994)، 262/1

¹⁰⁵ ينظر ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، 137/3

❖ جاء في تفسير القرطبي مسألة أن السلطان يضع على أهل بلد مالا معلوما يأخذهم به ويؤدونه، هل قدر الخلاص من ذلك أن يفعل؟ وهو إذا فعل أخذ البلد بتمام ما جعل عليهم، فقال المالكية: لا، وذهب الداودي إلى القول بأنه الخلاص¹⁰⁶.

كان الداودي وخاصة في كتابه الأموال يميل كثيرا إلى ترجيح ما هو خلاف مذهب مالك، ولا يتردد في ترجيح مذهب إمامه إن تبينت قوة دليله ووجهاته.

2-3 تنصيصه على أدلة المالكية وبيان أوجه الاستدلال بها:

إن من أبرز خدمات الإمام الداودي للمذهب المالكي تنصيصه على دليل المالكية في المسائل المبحوث فيها، وبيان وجه الاستدلال عليها، وهذا ساهم في توضيح بعض أدلة المذهب المالكي وطرق الاستدلال على المسائل، وسأكتفي بمثال مشهور هو اختلاف العلماء في صيام من أكل أو شرب ناسيا، هل عليه قضاء أو لا، والجمهور على صحة صيامه وعدم وجوب القضاء استنادا لقوله ﷺ: (إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه)¹⁰⁷، أما المشهور من مذهب الإمام مالك فهو بطلان صومه مع وجوب القضاء، وهذه مخالفة صريحة للحديث الصحيح، وهو ما دفع الداودي للاعتذار عنه لسببين فقال: «لعل مالكا لم يبلغه الحديث، أو أوله على رفع الإثم»¹⁰⁸.

والتأويل برفع الإثم أصل عند الإمام مالك لأن خبر الواحد إذا جاء بخلاف القواعد لم يعمل به، وهذا الحديث رآه الإمام موافقا للقاعدة في رفع الإثم ولا يوافقها في عدم بقاء العبادة بعد ذهاب ركنها فلا يعمل به¹⁰⁹. وهذا عذر معمول به.

3-3 منهجه في كتاب الأموال:

¹⁰⁶ ينظر، الأموال، المرجع السابق، ص: 35

¹⁰⁷ صحيح البخاري، المرجع السابق، رقم: 1933، 31/3

¹⁰⁸ ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، 119/4

¹⁰⁹ ينظر، الفقه المالكي وأدلته: الحبيب بن طاهر، لبنان، مؤسسة المعارف، ط. 5، (2007)، 119/2.

يدرس الكتاب العديد من المسائل والنوازل الواقعة في بلاد المغرب والأندلس، وبيان كيفية فتحها وحكمها الشرعي وتقسيم أموالها، الأمر الذي يصعب الحصول عليه في كتاب آخر من كتب المذهب المالكي، فضلا عن غيرها. وما يرفع من قيمة كتابه هي تلك الردود التي قدمها عمن سبقوه، خاصة مع قوة مناقشته القائمة على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة بالدرجة الأولى ثم إذا تعذر ذلك يكون الاستدلال بآثار الصحابة والتابعين، ومن خصوصية كتابه¹¹⁰:

- ♦ إيراد الحكم في عنوان الفصل، ثم يورد الأدلة التي تدعم ذلك، يليها الرأي المخالف ليناقشه منتهيا إلى إثبات رأيه الراجح.
- ♦ إفراء الكلام على موضوع واحد، واستيعاب كل ما يتعلق به من أحكام وأدلة وأقوال حتى لا يعود إليه لاحقا، فتجنب بذلك التكرار. مع غياب الإحكام المنطقي في ترتيب الموضوعات لانشغاله بتأكيد أهدافه العملية¹¹¹.
- ♦ الحرص على الاستدلال بالحديث الصحيح الثابت وإن كان معارضا لمذهب الإمام مالك، وإن كان يؤيده يؤخر الإشارة إلى ذلك حتى ينتهي من ذكر الحديث. ولا يكتفي بالإشارة إلى ضعف سند الحديث، وإنما ينقد متنه بعرضه على الواقع وبيان مخالفته له.
- ♦ تخصيص الفصل الأخير لموضوع الكفاف والفقر والغنى وهو لم يسبق إلى ذلك، وخصص فصلا آخر للأرض المغصوبة من طرف الولاة والعمال ليرز الأحكام الشرعية المتعلقة بها.
- ♦ لم يخل أي موضوع من مناقشاته العلمية أو ترجيحاته أو انتقاد الأخطاء وتصويبها، سواء داخل المذهب أو خارجه، وإثباته الآراء المخالفة وتوجيهها أكد لرأيه من تجاهلها¹¹². ولا نجد تقريره للأحكام الشرعية جافا وإنما يدعمه ببعض الروايات والأحداث من العصور الإسلامية المثالية، تحريكا لعواطف المتلقي وإثارة مشاعره.

¹¹⁰ ينظر، عبد العزيز دخان، المرجع السابق، ص: 431-432

¹¹¹ ينظر، حياة عبيد، المرجع السابق، ص: 75

¹¹² المرجع نفسه، ص: 72

- ♦ التصدي لإجابة جملة وافرة من الأسئلة التي كانت تردده مما يقع في عصره من النوازل والحوادث، ولا عجب من انتصاره للمذهب المالكي لكن بالدليل الصريح.
- ♦ الموازنة بين دعوته لاحترام الملكية الخاصة وحمايتها وعدم التعدي عليها، والعمل على توفير الموارد اللازمة لقيام دولة بوظائفها وأعمالها الواجبة في مجالات التكافل الاجتماعي والدفاعي، وإقامة المرافق الضرورية للعمارة والإحياء وتوفير الاحتياجات¹¹³.
- ♦ الدعوة إلى وجوب حماية الدولة للإنتاج المحلي في أقاليمها المختلفة، وذلك ببيان «الأضرار التي ترتبت على إغراق بلاد الشمال الإفريقي بمواد الطعام والسلع المستوردة من صقلية بعد فتحها، مما أدى إلى انتشار هذه المواد في الشمال الإفريقي وركود مثيلاتها المحلية لارتفاع أثمانها عن المستوردة من صقلية»¹¹⁴. ويمكن لمس ميله إلى إطلاق الطاقات الفردية وتقييد دور الدولة فلا تتدخل في النشاط الاقتصادي إلا عند الضرورة.

جهود الداودي في كتاب الأموال لم تكن بنية تحويل الدولة من مذهبها الشيعي إلى نصرة مذهبه السني، ولا السعي إلى التغلب عليها وطردها فلا سبيل إلى ذلك من الناحية الواقعية¹¹⁵، إنما الهدف الرئيسي لهذا الكتاب هو توضيح الأزمة المالية التي عايشها المغرب الإسلامي آنذاك، وسياسة الحكام التي كشفت الحاجة إلى صياغة نظام مالي جديد برؤية مختلفة مستندة على معطيات الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، تقدم حلولاً جديدة ملائمة تحد بقوة العلم والتنظير والفتوى الشرعية استيلاء الحكام والأمراء وعمال الدولة الفاطمية على الملكية الخاصة للأفراد والاعتداء على الأرض الخراجية.

ساهم الداودي في تشكيل أساس فقهي يحمي حقوق أصحاب الأراضي ويمنع الحكام من مطاردتهم وطردهم ولا حق لهم في ذلك، فهو يقيم حقهم في هذه الأراضي على أساس من قاعدة "الفتح صلحا" أو قاعدة "العمارة والإحياء" بعد ترك أصحابها الأصليين لها¹¹⁶.

¹¹³ ينظر، حياة عبيد، المرجع نفسه، ص: 73-74

¹¹⁴ المرجع نفسه، ص: 74

¹¹⁵ المرجع نفسه، ص: 73

¹¹⁶ المرجع نفسه، ص: 73

خاتمة:

- بلغت بهذا نهاية صفحات ورقتي البحثية ومع ذلك لم أستطع أن أوفي الإمام حقه، واجتهدت لتسليط الضوء على بعض مساهماته العلمية في العالم الإسلامي، فقد كان بحق بارعا في التأليف الحديثي والفقهية، وأبرز النتائج التي خلصت إليها:
- الإمام أحمد بن نصر الداودي علم من أعلام المذهب المالكي، وواحد من علماء الجزائر الذين خدموا السنة النبوية، أثبت تفرسه في الصناعة الحديثية والفقهية، ما يبرر احتفاء العلماء بنصوصه، فلا يكاد يخلو كتاب في الفقه والحديث من أقواله.
 - وجود علاقة متينة بين الداودي والمغرب الأوسط، فهو مسقط رأسه وموطن طلبه العلم، ثم تصدر للعلم هناك.
 - رد ادعاء المشككين في تحصيله العلمي وإثبات عدد من شيوخه.
 - سبق الشيخ في شرح صحيح البخاري في المغرب العربي، وبراعته في المزج بين الدراستين الإسنادية والمتنية، مع تعقيباته على الإمام البخاري.
 - موضوعية الشيخ وعدم تعصبه لمذهبه الفقهي، ومراعاته للدليل الشرعي فيدور مع الحديث الصحيح حيثما دار.
 - مساهمة الداودي الفعالة في فقه الواقع من خلال كتابه (الأموال) الذي يعد مصدرا مهما للأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات المالية، زاخرا بالنظريات الاقتصادية الناجعة.
- رغم ما ذكرته وما تجاوزته من معلومات إلا أن الكثير من تفاصيل حياة الداودي وجهوده العلمية ما زالت غير معروفة لنا، وهذا ما يتطلب جهودا بحثية مكثفة تميظ اللثام عما خفي عنا، وهذا واجب طلاب العلم خاصة الجزائريين للنهوض بعلمه ودراسة آثاره في مختلف الفنون، لا سيما أن بعض كتبه ما زالت مخطوطة وتحققها كفيل بإشباع جزء كبير من فوصلنا العلمي.

قائمة المصادر والمراجع:

• الكتب:

- الأموال: أحمد بن نصر الداودي، تح: رضا محمد سالم شحادة، د/ط، الرباط، مركز إحياء التراث المغربي، د.ت.
- تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمن الجليلي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط.7، (1994).
- تخريج الدلالات السمعية: الخزاغي، تح: إحسان عباس، بيروت، دار العربي الإسلامي، ط.1، (1985).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دبيروت، منشورات دار ومكتبة الحياة، د.ت.
- التكملة لكتاب الصلة: ابن الأبار أبو عبد الله القضاعي، تح: عبد السلام المهراس، لبنان، دار الفكر للطباعة (1995).
- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، رجال المالكية، من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: قاسم علي سعيد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء العلوم، ط.1، (2002).
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تح: علي محمد عوض، القاهرة، دار التراث تونس المكتبة العتيقة، ط.1، (1997).
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: ابن فرحون المالكي، تح: محمد الأحدي أبو نور، مصر، دار التراث للطبع والنشر، د.ت.
- رفع الملام عن الأئمة الأعلام: ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تقي الدين، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ت.
- سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط.9، (1413هـ).
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، القاهرة، المطبعة السلفية، (1349هـ).
- صحيح البخاري "الجامع الصحيح": البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل.
- طرح الترتيب: زين الدين أبو الفضل، د/ط، لبنان، إحياء التراث، د.ت.
- فتاوى البرزلي = جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام: أبو القاسم بن أحمد البرزلي، تح: محمد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط.1، (2002).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، تح: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة، (1379هـ).
- الفقه المالكي وأدلتها: الحبيب بن طاهر، لبنان، مؤسسة المعارف، ط.5، (2007).
- الفهرست: محمد بن خير الإشيلي، تح: محمد فؤاد منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط.1، (1984).
- الكامل في التاريخ: ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد، تح: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط.2، (1415هـ).

- مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس والعشرين: الحسين بن محمد شواط، تح: أبو الحسن نوري حسن حامد المسلاقي، بيروت، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط.1، (1411هـ).
- المدونة: مالك بن أنس، لبنان، دار الكتب العلمية، ط.1، (1994).
- معرفة علوم الحديث وكيفية أبحاثه: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله، تح: أحمد بن فارس السلوم، لبنان، دار ابن حزم، ط.1، (2003).
- مقدمة تحقيق كتاب الأموال للداودي: محمد أحمد سراج، علي جمعة محمد، مصر، دار السلام للطباعة والنشر، ط.2، (2006).
- المقنع في علوم الحديث: سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، تح: عبد الله بن يوسف الجديع، السعودية، دار فواز للنشر، ط.1، (1413هـ).
- هدي الساري "مقدمة فتح الباري": ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، مصر، إدارة الطباعة المنيرية، ط.1، (1347هـ).
- موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي، المسيلي، التلمساني، المالكي، في اللغة والحديث والتفسير والفقه: عبد العزيز الصغير دخان، وزارة الثقافة (الجزائر)، دار المعرفة الدولية، ط. خاصة، د.ت.
- المجلات:
 - الإمام أبو جعفر الداودي ومنهجه في كتاب (الأموال): عبد العزيز دخان، مجلة المعيار، ع: 53، مج: 25 (2021)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.
 - الداودي التلمساني المالكي وكتابه "الأموال" مساهمة في التنظير للمالية العامة وإصلاحها: حياة عبيد، مجلة البحوث والدراسات، ع: 11، (2011)، معهد الآداب واللغات. المركز الجامعي بالوادي.
 - سمات منهجية في شرح الداودي على صحيح البخاري: خريف زتون، مجلة البحوث العلمية والدراسات الأكاديمية (2007)، كلية العلوم الإسلامية خروبة، جامعة الجزائر 01.
 - فقه الواقع عند الإمام الداودي ظاهرة التسول نموذجاً: عبد الجبار اليمان، مصطفى وينتن، مجلة الشهاب، ع: 01 (2018) مج: 04، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي.
 - نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط: الطاهر بونابي، مجلة حوليات التراث، ع: 02، مستغانم (2004).
 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد التلمساني المقرئ، تح: إحسان عباس، د/ط، بيروت، دار صادر (1388هـ).
 - واجبات ولي الأمر عند الإمام الداودي من خلال كتابه الأموال "دراسة نظرية تطبيقية": عبد الباسط باعلي، محمد بوركاب، مجلة أبحاث، ع: 01 (2022) مج: 07، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة.

• الدراسات الأكاديمية:

- أحمد بن نصر الداودي المسيلي (ت402هـ / 1011م) حياته وآثاره: بو شنفقة رقية، داودي سلمى، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة، (2018/2017).
- الفكر الاقتصادي عند أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي (دراسة تحليلية لكتاب الأموال): محمد ذياب، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي، جامعة الحاج لخضر، باتنة (2007).

• المواقع:

- أضواء على جوانب من حياة ليبيا العلمية : حمزة أبو فارس، وقع ليبيا جيل، 2008/11/19